

# ما سمعت وما رأيت

في بلاد السوفيت<sup>(١)</sup>

- ٤ -

## المعرض الزراعي :

زرت هذا المعرض في اليوم الثالث من قدومنا الى موسكو ، وحق له أن يعد في طبيعة المعارض الزراعية العالمية سمةً وتنسيقاً وتنظيماً . افتتح في صيف هذا العام ، والغاية منه على ما قيل الدعاية لما تحقق من تقدم زراعي في البلاد وما تم على يد التعاونيات الزراعية من ازدهار في هذا المضمار .

وتبلغ المساحة التي يشغلها المعرض ٢٠٧ هكتار ويشتمل على ٣٦٠ بناء موزعة على جمهوريات الاتحاد الست عشرة في جانب المباني الرئيسية التي تمثل المصالح العامة . وقد عمل في إخراجها الى حيز الوجود أربعة آلاف من المهندسين الممارسين والرصاصيين والنحاتين ورؤساء الحرف من جمهوريات الاتحاد كافة .

ويفتح المعرض الزراعي أبوابه في أول شهر آب من كل سنة حتى منتصف شهر تشرين الثاني . يرى الزائر أول ما يرى فيه باحة واسعة تقوسطها بركة كبيرة ذات فتارة عالية ، يحيط بها أحواض مملأى بأنواع الأزهار الجميلة والتنسيق والترتيب ، فضلاً عن التنايل الرخامية العديدة ، والفواتر الجانبية الكثيرة تتلون بالمصاييح الكهربائية بألوان شتى مما يجذب سكان موسكو والزائرين القادمين من أنحاء الاتحاد وخارجه أن يجدوا السلاوي المنشودة ناعمين بالنسيم العليل في ليالي الصيف ، مشغفين آذانهم بألحان الجوقات الموسيقية التي تعزف حتى ساعة متأخرة من الليل .

(١) انظر المجلة مج ٣١ : ص ٤١٦ و ٥٨٦ و مج ٣٢ : ص ٤٧٨ .

ولما لم يكن لدينا متسع من الوقت لزيارة الأجنحة جميعها أو معظمها ، فقد اضطررنا الى الاكتفاء ببعضها . زرنا بعض الأجنحة التي تمثل المصالح العامة في المعرض بادئين بجناح الآليات ( الميكانيكا ) الذي تعلو سقفه قبة شاهقة ويجوي الكثير من آلات الزراعة الضخمة ، ثم انتقلنا الى جناح الحيوانات الزراعية والماشية ، وعرض علينا نوع من البقر قيل ان نتاج البقرة الواحدة من اللبن في السنة يبلغ ١٦ طنًا ، ونوع من الغنم يختلف مقدار ما ينتجه من الصوف بين ١٥ و ٢٥ كيلو سنويًا ، ونوع من الثيران يبلغ وزن الواحد منها ١٦٠٠ كيلو ، في جانب أنواع الخيل العديدة والضخمة وهي ولا شك دون الخيول العربية جودة ومظهرًا .

وانتقلنا بالطواف الى جناح يوزبكستان فشهدنا من معروضاته الأنواع المختلفة من العنب والتفاح ، وقد ذقنا بعضه فلم نجد فيه تلك النكهة العطرة التي يمتاز بها ثمر بلادنا . ويمد القطن في طليعة منتوجات هذه الجمهورية الهامة وقدّر ما جني منه في هذه السنة بـ ٦٠٪ من قطن بلاد الاتحاد السوفيتي .

وزرنا بعده جناح أرمينية وراعنا فيه أن رأينا الكثير من الفواكه التي اشتهرت بها بلادنا وما جاورها كالبترقال والمندرين ( اليوسفي ) والموز في جانب الأثمار الأخرى ، ولهذا الجمهورية شهرة واسعة في صنع الأشربة الروحية .

ورأينا في جناح أوكرانية أنواعًا مختلفة من الحنطة ما بين صيفي وشتوي ، وكذلك الشوفان والشعير ، ولا غرابة ان رأينا سهولها الفسيحة أثناء تحليق الطائرة فوقها لا يكاد يخلو شبر واحد من أرضها من نبات ، وأن تكون هذه البلاد مطمح الفزاة وتربتها نادرة المثال بالطيبة والخصب .

وشاهدنا في جناح جورجيا المحاصيل الزراعية التي تشبه محاصيل بلادنا شيئًا كليًا ، وانتهى بنا المطاف الى ما يدعى بالجناح المركزي ويبدو أنه مخصص بالدعوة لكثرة ما شاهدنا على جدرانه من لوحات ولافتات ملأى بأرقام الإحصاء التي

م (٦)

ترمز الى مدى التقدم الذي أحرزته البلاد في عهد الثورة ووفرة الإنتاج الزراعي الآخذ بالزيادة باطراد . وبزيارة هذا الجناح الأخير ختم طوافنا في المعرض الزراعي وقد استغرق أربع ساعات ولو وددنا زيارة جميع الأجنحة لافتضى لها عدة أيام .

### متحف الثورة :

وهو كائن في شارع غوركي ، زرناه في الرابع من تشرين الثاني ، تحفه موزعة على ١١ قاعة خصصت الأولى لما يمثل حالة روسيا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، وفي القاعتين الثانية والثالثة معروضات تبين حالة البلاد في خلال الثورة الأولى ( ١٩٠٥ - ١٩٠٧ ) ويرى الزائر في القاعة السادسة الوضع الذي كان قائماً خلال الحرب العالمية الأولى ، وبدء الثورة الثانية ( ١٩١٤ - ١٩١٧ ) وفي القاعات التالية ماتم في البلاد من أحداث بعد ذلك . وإن من بين التحف المعروضة في قاعات خاصة الهدايا التي تلقاها ستالين من شعوب الاتحاد السوفيتي ومن الأصدقاء الأجانب ، وفيها مجموعة من السيوف والأسلحة المختلفة في جانب القطع النفيسة القيمة واللوحات الزيتية .

### حفلة الاستقبال في المجمع العلمي السوفيتي :

أقيمت حفلة استقبال لوفدنا في مجلس الهيئة العليا ( Presidium ) لمجمع العلوم السوفيتي وذلك مساء الخامس من تشرين الثاني . وصلنا في الموعد المضروب الى مقر المجلس الكائن في أحد الأبنية الفخمة أمام باحة كبيرة من أحد شوارع موسكو الواسعة ، ودخلنا قاعة الاستقبال الفسيحة ، وبعد التعارف مع الأعضاء الذين كان عددهم يربو على العشرين مع بعض مرافقي الصحف والمصورين ، جلسنا حول موائد نصدت عليها أكواب الشاي وما يتبعه من ماكل وأشربة مختلفة ، ابتداء بالكلام أمين السر العام ( السيد طويجيف ) بالروسية صارداً تاريخ المجمع ونشاطه ، وكانت مقاطع خطابه

تترجم تبعاً الى الفرنسية من قبل ترجماننا المرافقة (نادين) ، ورد عليه الزميل  
 الأمير جمفر بالفرنسية بكلمة مناسبة شاكرًا للمجمع العلوم السوفيتي دعوته لأعضاء  
 المجمع العلمي العربي في دمشق ، والخفاوة البالغة التي يلقاها الوفد في كل مؤسسة  
 يزورها متمنياً للمجمع اطراد التقدم ، وتلاه أمين السر المساعد بكلمة ألقاها  
 بالفرنسية مطربياً الجهد الذي يبذله مجعنا العلمي في نطاق عمله خاصاً بالثناء زميلنا  
 الأستاذ الدهان لبلائه البلاء الحسن في نشر المخطوطات وخبرته الواسعة في  
 هذه الناحية ، وأخذت لنا أثناء ذلك عدة صور ودامت الحفلة قرابة الساعتين .  
 فما اطلعت عليه أن هذا المجمع الذي كان يعرف بالمجمع الروسي قد تأسس  
 من قبل بطرس الأول سنة ١٧٢٤ فيكون قد صالح من العمر حتى عام زيارتنا  
 ٢٣٠ سنة وكان مقره في العاصمة بطرسبورغ (بتروغراد ثم ليننغراد الآن)  
 وتم نقله الى موسكو بعد سنة ١٩٢٦ ، وقد أدى المجمع خدمات جليلة ولا سيما  
 في عهد رئيسه ميخائيل لومونوسوف (Mikhail Lomonosov) بكثرة العلماء  
 الذين تم توجيهم وتخريجهم باشرافه .

وقد نص نظامه الأساسي الجديد الذي صدق سنة ١٩٣٥ ان من أهداف  
 المجمع الرئيسية الإفادة الرتيبة مما يحققه العلم للمساهمة في تشييد مجتمع شعبي  
 دون تمييز بين الطبقات ، وتضاعف نشاط المجمع بعد انتقاله الى موسكو وارتباطه  
 بالسلطات الحكومية الموجهة ارتباطاً شديداً الأواصر .

وأصبح مجمع علوم الاتحاد السوفيتي الآن معدوداً في طليعة المعاهد العلمية  
 في العالم وبعد أن كان عدد أعضائه قبل الثورة ١٥٤ فقد أصبح ١٦٠ عضواً  
 عاملاً و ٣٣٠ عضواً مراسلاً وبلغ عدد العلماء المنتسبين إليه ١٠٠٠٠٠ و مجموع  
 العاملين فيه ٣٠٠٠٠ .

ومما قاله أمين السر العام إن لينين عني بالعلم واقتنى ستالين أثره مما أدى  
 الى ازدهار مجمع العلوم السوفيتي وتحقيق أهدافه بهمة لا تعرف الكلال وأصبح

من أكبر المؤسسات العلمية في العالم . وان للمجمع الآن ثمانية فروع وهي :  
العلوم الرياضية والعلوم الطبيعية والكيمياء والجغرافيا وعلم الأحياء ( Biology )  
والتكنيكا ( Technic ) والتاريخ والحقوق والفلسفة والأدب ، ويرتبط بالمجمع  
أكثر من ٥٠ مؤسسة للبحوث العلمية ، و ١٦ ملحقاً لها مقرها في نواحي البلاد  
الثانية ، كما أنه يشرف على ٣ مرصد جوية و ١٧ مختبراً .

وللمجمع علوم الاتحاد السوفيتي الصلة الوثيقة بمجامع جمهوريات الاتحاد . ويشرف  
المجلس الأعلى على إحكام الصلة ما بين أجزاء هذا الجهاز الهائل ، فيجتمع سنوياً  
في موسكو وينظم الخطط اللازمة الرامية الى تحقيق البحوث العويصة والمظيمة .  
وعلى ذلك فقد زاد عدد المشتغلين من رجاله ٦٠ ضعفاً عما كان عليه قبل الثورة  
وارتفع رقم الموازنة ٧٠٠ ضعفاً .

وتدير الأعمال لجنة تتألف من رؤساء الملاحق ويعمل تحت إشرافها الآن  
( ١٩٥٤ ) ٤٠٠٠ باحث لتحضير الأطروحات .

وان في جانب مجمع العلوم السوفيتي مجامع للزراعة وللطب وللفنون الجميلة .  
والصلات بين هذه المجامع متينة ، إذ يشترك معظم الأعضاء في الهيئة العليا  
المشرفة على إدارة البلاد ( اللجنة المركزية للحزب الشيوعي ) .  
ويمنح المجمع جوائز سنوية قدرها ٣٠٠٠٠٠٠ روبل<sup>(١)</sup> في الدرجة الأولى  
و ١٠٠٠٠٠٠ في الدرجة الثانية و ٥٠٠٠٠٠ في الدرجة الثالثة .

وللمجمع العلوم السوفيتي ٥٠ مجلة علمية وقد بلغ عدد المطبوعات والنشرات  
التي تم طبعها في هذه السنة ٣٠٠٠٠٠ .

وقد علمت أن الهيئة العليا للمجمع العلوم السوفيتي تضم بين أعضائها طبيبين  
أحدهما يرأس شعبة بحوث الجملة العصبية ( وقد زرتة في اليوم السابق ) والثاني  
أستاذ الفيزيولوجيا في كلية الطب .

(١) يساوي الدولار الأمريكي ٤ روبلات في ذلك الحين ، وقد هبطت هذه القيمة  
عن ذي قبل الآن .

### معهد الآداب الأجنبية :

زرنا هذا المعهد في السادس من تشرين الثاني ، وقد راعنا فيه حفظ مخطوطات غوركي ومخطوطاته وما الى ذلك من الآثار بطريقة فنية دقيقة بقيتها البلي والفساد مع تقادم العهد وتطاول الزمن ، فضلاً عن الترتيبات المتخذة ضد الحريق .

### دار كتب لينين :

بغنى أولو الأمر في بلاد الاتحاد السوفيتي عناية فائقة بنشر العلوم وتهوين السبيل للبحث والمطالعة فما زرنا مؤسسة من المؤسسات التي زرناها في شتى أنحاء البلاد إلا رأينا فيها مكتبة عاصرة ، كما ان لكل معمل من المعامل بناءً ضخماً في قربه يدعى بقصر الثقافة ( Palais de Culture ) يضم فيما يضمه مكتبة تحوي من الكتب ما يرفع مستوى العامل وينجح له أن ينمي معلوماته ويستزيد علماً مما يفسح له المجال الى زيادة الأجر ونوال التقدير ، في جانب ما يضمه المبنى المذكور من مسرح للتمثيل وقاعة للسينما وملاعب للرياضة .

ولقد ترامى إلينا أن عدد المكتبات العامة في بلاد الاتحاد قد بلغ ٣٦٨ ألف ( سنة ١٩٥٤ ) منها زهاء ألف في العاصمة وحدها . ومما يباهي به رجال هذا العهد أن موسكولم يكن فيها عام ١٩١٣ سوى ١٢ مكتبة عامة عدد المجلدات فيها ٨٥ ألف وارتفع في هذه السنة الى ١٥٠ مليوناً .

ولدار كتب لينين في العاصمة السوفيتية المقام الأول وهي من مفاخر هذه البلاد حقاً ولم أر مثيلاً لها في المكتبات التي زرناها في عواصم بلاد الغرب المختلفة . زرناها في السادس من الشهر وقد استقبلنا القيم عليها وأدلى إلينا بالمعلومات التالية : يعود تاريخ تأسيس هذه المكتبة الى سنة ١٨٦٣ ولم يكن عدد ما تشتمل عليه من كتب ليتجاوز قبل الثورة ١٠٠٠٠ مجلدة واقتصر عدد القاعات فيها على ٢٠ حتى سنة ١٩١٢ ، أضيف إليها ١٤ قاعة ، وسرعان ما ارتفع عدد

الكتب الى مليونين وأصبح الآن ( سنة ١٩٥٤ ) ٧٧ مليون و ٢٠٠ ألف<sup>(١)</sup> وارتفع عدد الموظفين فيها من ٤٥٠ الى ١٧٥٠ وان مجموعة نادرة من الصحف تحويها المكتبة في جانب المخطوطات والطبعات الأولى من مطبوعات القرنين الثالث عشر والرابع عشر والتي تعد الوحيدة من نوعها ولا سيما فيما يختص بالأساتذة الروس من أدباء وعلماء .

ويشمل فرع الكتب النادرة على مجموعة عظيمة من المنشورات الروسية من العصر السادس عشر الى العصر التاسع عشر وان من بين هذه الكتب ما كان ممنوعاً افتتاه في العهد القيصري وتم طبعه بصورة سرية .

وتحفظ المكتبة باحترام كلي الطبقات الأولى لما ركس ( Marx ) وأنجل ( Engels ) كما انها قد جمعت فيها الطبقات الأولى لمؤلفات لينين ( V. Lenine ) وستالين ( J. Staline ) .

وايست موجودات المكتبة باللغة الروسية وحدها بل ان فيها كتباً كتبت بـ ١٦٦ لغة . وهي تتبادل المطبوعات مع معظم مكاتب العالم وترد اليها مطبوعات الاتحاد السوفيتي بالبحر ، تقمني ما صدر منها خارج بلاد الاتحاد إما عن طريق التبادل أو الشراء ، وقد قيل لنا ان عدد الكتب النادرة يبلغ ١٨٠٠٠٠٠ وعدد ما فيها من كتب عربية ٣٥٠٠ ، منها ١٥٢ مخطوطة . والمكتبة مشتركة بـ ٩٠ صحيفة و ٨٠ مجلة واشتركت سنة ١٩٥٤ بـ ٨٦ من مصر ولبنان وفيها ٦٢ ألف ميكروفيلم .

ولا أدل على عظمة هذه المكتبة من أن طول الرفوف التي نضدت الكتب فوقها يبلغ مجموعه ٢٠٧ كيلو متر ، وأن ثقل الكتب من مستودعها الى قاعة التوزيع ليتم بحافلة كهربائية خاصة .

(١) لقد حاولت عبثاً الحصول على معلومات حديثة عن هذه المكتبة وعن جامعة موسكو سواء بالكتابة أو بتكليف من لهم صلة من السوفيتيين ، مما يشير الى استمرار التحفظ الشديد في اقامة الصلة بالأجانب ، شأنهم فيما مضى دون اي تغيير .

تفتح المكتبة أبوابها للقراء من التاسعة صباحاً حتى الثالثة والعشرين والنصف ليلاً ويختلف عدد القراء فيها من ٤٠٠٠ - ٥٠٠٠ في اليوم . موازنتها ٥٠ مليون روبل .

وإن مما جلب انتباهنا فيها القاعة المخصصة للأولاد ، والجهاز الفني الذي يشتمل على ٣ مختبرات للكيمياء ومختبر واحد للبحث الفطري ( Mycology ) وفيها فهرس يشتمل على جميع الكتب التي طبعت في بلاد الاتحاد السوفيتي . وإن المكتبة تتبادل الكتب مع ٥٢٥ مؤسسة منها ٧٤ في الولايات المتحدة و ٣٤ في المملكة المتحدة و ٣٢ في فرنسا . وتصدر نشرة سنوية عن الكتب الأجنبية . وإن مما قاله قيم المكتبة لنا إن في النية توسيع المكتبة في السنة القادمة ، وإن لما ٣ ملاحق اثنان منها في موسكو وواحد في بالظه .

هذا وبلا حظ الزائر للمكتبة الهدوء والسكون اللذين يجنيان على من فيها من موظفين وقراء بما فيهم الأولاد وتنظيم العمل في استقدام الكتب في منتهى السرعة ، إذ لا يستغرق طلب الكتاب من مستودعه ووصوله إلى قاعة المطالعة بالخافلة الكهربائية أكثر من بضع دقائق .

### العرض العسكري :

وهو العرض العسكري للذكرى ٣٧ لثورة ١٥ تشرين الأول بيقام في صباح السابع من تشرين الثاني الآن ( بعد أن بدل التاريخ الشرقي السابق بالتاريخ الغربي ) ويقام نظيره في الأول من أيار من كل سنة وكلاهما يوم عيد وطني تعطل فيه جميع الأعمال والمصالح في أنحاء الاتحاد السوفيتي كافة .

نبتنا مساء اليوم السابق بالدعوة التي وجهت إلينا لشهود العرض العسكري ولم تسلم إلينا بطاقات الدعوة إلا صباح هذا اليوم نفسه . وقد أعلنا بلزوم ترك الفندق قبل موعد العرض بساعتين وأن علينا أن نذهب إلى الساحة الحمراء (مكان العرض) مشياً على الأقدام لأن وسائل النقل بما في ذلك السيارة



المخصصة لركوبنا معطلة . خرجنا من الفندق صحبة الترجمانة فألفينا الأسواق التي صرنا بها كلها مغلقة الأبواب ، ولم نر أية سيارة في الطرق جميعها ، وكانت شرادم من الجند ترابط بها عند كل مفترق للطرق ، والغريب من هؤلاء الجنود أنهم لا يحملون أي سلاح . اضطررنا للوصول الى الساحة الحمراء أن نسلك سبلاً ملتوية غير مستقيمة حتى استغرق وصولنا إليها ٥٠ دقيقة بينما لا يتجاوز هذا ١٥ دقيقة في الأيام الأخرى .

وكننا نُسأل عند كل مكان ترابط فيه الجنود عن بطاقات الدعوة التي نحملها وعن هوياتنا وقد أحصيت عدد المرات التي فتشت فيها تلك البطاقات فبلغت الثانية ، ولكن لقينا في خلال مرورنا من تلك الطرق الخاوية من ممانعة من الجنود بالمرور طالبين الينا المرور من طريق أخرى لولا كلمات كانت تهمس بها ترجماننا ودليلتنا في أذن رئيس تلك الشرذمة من الجنود فيفسح لنا المجال بالمرور دون سوانا من المشاة الذين ليس لهم إلا سلوك الطرق الأخرى .

وصلنا الى الساحة الحمراء في الساعة التاسعة وعشر دقائق ، فوجدناها غاصة بآت الألوف من البشر ، وقادنا أحد الرتباء الى المكان الذي خصص لجلوسنا وكان رقمه ٦ يبعد عن المنصة الرئيسية قليلاً ويظن أنه مخصص للأجانب وبعض أساتذة الجامعة وأعضاء الجامع ، فقد عرفت من بين هؤلاء أحد الأطباء الذين زرتهم في اليوم السابق في المعهد الطبي الذي يشرف عليه .

وابتدأ العرض العسكري في تمام الساعة العاشرة بقدوم المارشال بولغانين الذي كان إذ ذاك وزيراً للدفاع ، ركباً سيارة مكشوفة وواقفاً فيها لتأدية التحية العسكرية للجموع المحتشدة في جانبي الطريق التي اخترقتها سيارته منطلقاً من أحد أبواب الكرملين ، وتلقاه في آخر الساحة قائد موقع موسكو وهو واقف في سيارة مكشوفة أيضاً .

وكانت تتقدم الجموع الفقيرة المحتمة في الساحة الحمراء صفوف من الجند

تمثل القطع المختلفة من رجال الجيش من مشاة وبحارة وطيارين وصف ضباط ، وكما صرّ وزير الدفاع بسيارته أمام القطعات كان يجهر بكلمات التهنئة بالعيد الكبير فيتلقى الجواب من الجند بصوت جهوري . وما ان وصل أمام المنصة الرئيسية حتى عزفت جوقة الموسيقى ( وقد قدرت عدد أفرادها بـ ١٠٠٠ ) النشيد الوطني ، وسرعان ما قصفت المدافع من فوق أسوار الكرملين ، وألقى المارشال بولغانين كلمة لم يتجاوز إلقاؤها ١٠ دقائق عدد فيها الأعمال التي تمت في خلال السنة المنصرمة من إنماء في الاقتصاد وازدهار في الزراعة ، ثم تطرق الى السياسة الخارجية مقتصرأ على الخطوط الرئيسية . ونقلت ترجماننا نصها الى الفرنسية . وبعد الانتهاء من هذه الخطبة المقتضبة ابتداء العرض العسكري بمرور القطعات المختلفة الواحدة تلو الأخرى بنظام بديع<sup>(١)</sup> وترتيب فائق يخيل الى الرأي كأن صفوف الجند ( وعددها ٣٢ ) تتحرك حركة موافقة كشخص واحد . فنلا مرور المشاة والخيالة المدفعية والآليات من خفيفة وثقيلة ومدافع مما لم يقع نظرنا على أمثالها بينما كان هدير الطائرات يملأ الفضاء .

وما أن انتهى استعراض الجنود وقد دام زهاء ساعة ونصف الساعة ، حتى تبعه مرور المنظمات الرياضية ونوادي الشباب من ذكور واثاث بأعلامها وشاراتها المختلفة بنظام لا يقل عما شاهدناه في الجند والكل يهزج الأهازيج الحماسية . والاستعراض الذي بدأ في تمام الساعة العاشرة استمر حتى الرابعة عشرة ، وفضلت وصحبي الانسحاب والعودة الى الفندق ، ولم تنسن لنا هذه إلا بشق الأنفس مجتنبين الطرق التي رسم لقوافل الناس أن يتخرفها .

(١) كنت أظن أن مثل هذه الاستعراضات العسكرية انما تتم بنت يومها دون اعتماد سابق ، إلا اني في رحلتي الثانية الى موسكو والتي تمت قبيل العيد الوطني بأيام لاحظت في جانب التحضيرات التي ترتب آتاه النهار ، ترتيبات عسكرية وقارين تقوم بها قطعات الجند قبيل منتصف الليل عندما يخف المرور من الشوارع المؤدية الى الساحة الحمراء .

## متحف تريتييا كوف ( Tretyacov ) :

وهو متحف اللوحات الزيتية التي تمثل الفن الرومي للنصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداً القرن العشرين . يحمل اسم المثري الذي أسسه غواية منه في هذا المضمار ثم وهبه للشعب . أتيح لي أن أزوره مرتين الأولى سنة ١٩٥٤ والثانية سنة ١٩٥٦ ، وأن أمتع الطرف في كليتها بما يزين قاعاته الاثنتين والخمسين من صور زيتية رسمها وصورها نوابغ الفن الرومي ، ولطالما شاهدنا ما نقل عنها من مشيلات تزين جدران أهواء المؤسسات والدور والفنادق في جانب اتخاذ بعض البيوتات التجارية لبعض الصور شعاراً تجارياً لها .

بعد السوفيت النصف الثاني من القرن التاسع عشر العصر الذهبي للفن الرومي في نواحيه المختلفة ، ففيه ظهر نبغاء الكتاب والموسيقين والرسامين والنحاتين الذين يمثلون ما يدعونونه بالفن الديموقراطي الواقعي ( Democratic and realist art ) . لذا يعتبرون هؤلاء وأولئك باعني اليقظة في روح الشعب ومذكي نار الثورة والانتفاض ، وان ما أتوا به من روائع الفن لتتجاوب مع ما يكن في قرارة نفوس سواد الناس من تأهب للثورة والانتفاض على الطبقة الارستوقراطية وطغيانها الغاشم .

وعلى ذلك كان دليلنا في زيارة متحف تريتييا كوف يفسر لنا مدلول كل لوحة من اللوحات بما ياتلف والفكرة السالفة ولكم خاصرنا الشك في بعض ما ذهب إليه إذ لا يعقل أن تنصب مشاعر جميع المتفتنين على احترام نار الثورة وأن تخلو تلك اللوحات مما يمجده المهدي السالف متغاضية عن بعض محاسنه ( وإن قلت ) وأن لا يرى أي أثر لماثرة من مآثر تلك الامبراطورية التي كان لها شأنها حيناً من الدهر . فكل اجتماع شعبي تمثله إحدى اللوحات على رأي الدليل كان تفسيره تنادي الطبقة الكادحة والفقيرة من الشعب ومطالبتها بحقها السليب ،

متى كان تاريخ تلك اللوحة يعود الى عهد القيصرية وإلا فهي تقيض ذلك تفسر بالتأييد والدعم .

وبعود تاريخ أقدم اللوحات الى ١٨٦١ وأحدثها الى ١٩٣٠ ورأينا بين اللوحات لوحة الرسام بيروف ( Perov ) وتاريخها ١٨٦٥ وعنوانها تشييع الميت الى المقبرة كيف أن الأرملة الشاكل تقود الحفنة الثلجية التي تحمل نعش زوجها مقوسة الظهر تمسك بعنان فرس هنريل على أرض كساها الثلج وبنيهاها يسكن بجانب النعش ، فهي ترمز ولا شك الى منتهى الشقاء والفقر والحرمات .

والرسام نفسه لوحة لها شهرتها في جميع البيئات عنوانها الصيادون حين الراحة ويبدو فيها ثلاثة صيادون اثنان منهم في سن متقدمة والثالث شاب حديث العهد في هذه ( الهواية ) يسرد أحد العجوزين مغامراته الفذة والمبتدئ يصفى اليه بانتباه بينما العجوز الآخر مضطجع على جنبه يتسم لتلك الأصابيص وبنم على شكه بصحتها ومبالغة الراوي لها حكه بيده خلف أذنه .

ومن اللوحات التي تندد بالعمود السالفة لوحة نافرف ( Nevrev ) سنة ١٨٦٦ ويرى فيها الناظر مشهد المساومة على بيع الفتاة الحسنة بين رب المقاطعة والمثري المشتري ، وأهلها واقفون مشدوهون منتطرون مصير فلذة كبدهم ، وكذلك لوحة بور كيروف ( Purkirov ) سنة ١٨٦٢ وفيها صورة من مراسم إكليل الزواج بين كاعب في ريعان الصبا وشيخ بلغ من الكبر عتيا يظهر من ضياه تراؤه وانتاؤه الى الطبقة الارستوقراطية .

وإن اللوحات التي تندد بوبلات الحروب وما يتبعها من دمار لكثيرة ، الجزء الكبير منها تصور غارات التبر والأتراك والمواقع التاريخية الشهيرة التي تم النصر فيها للروس منها لوحة فرشناغين ( V. V. Vercshahagin ) الذي عرف بأنه رسام المعارك الحربية وقد طاف في أنحاء القفقاس وآسيا الوسطى والهند وفلسطين واليابان وغيرها من البلاد ، تعرف اللوحة بمجد الحرب ( Apotheosis of war )

كادعاهما مجد تيمورلنك (Ap. of Tamerlane) أيضاً ويرجع تاريخها الى سنة ١٨٧١ م  
 صور فيها هراً من الجاجم يرتفع فوق صحراء تلتفحها الشمس ووراءه خرائب  
 مدينة قديمة ، وأراد الرسام بعد ذلك أن يضفي على لوحته الزيتية معنى سياسياً  
 فقدمها هدية الى جميع الفاتحين في العصر الحاضر وفي الماضي والمستقبل شأن  
 ما يبدو في الكتابة البادية على اطار اللوحة . ومع أنه لم يكن من أنصار  
 الحرب فقد أشاد ببطولة الجندي الروسي وشجاعته . ورأينا في إحدى اللوحات  
 التي تمثل المعارك التي دارت رحاها بين الجيش الروسي والأتراك ( ١٨٧٣ )  
 كيف كان جواب الجيش الروسي المحاصر لطالبي الاستسلام اذهبوا الى الشيطان  
 ( Go to the devil ) كما يبدو في أسفل اللوحة ، وكذلك لوحات تمثل الجيش  
 الروسي قبل المعركة مع الأتراك وبعدها والجثث الكثيرة التي تملأ الأرض .  
 ومن اللوحات التي تمثل الحياة في آسيا الصغرى اللوحة التي يبدو فيها مشهد بيع  
 الرقيق وباب تيمورلنك ( ١٨٧٣ ) ، ومن لوحاته في الهند ضريح تاج محل في  
 أغرا . ورسم عدا ذلك بعض اللوحات التاريخية التي يضمها متحف التاريخ في  
 موسكو كنبوليون في روسيا والتي تمثل بطولة الجيش الروسي في الحرب الوطنية  
 ( ١٨١٢ ) . لذا يمد الناس لوحات هذا الرسام مصداقاً على كرهه حرب العدوان  
 ودليلاً على وطنيته الملتزمة .

وللرسام فازنتزوف ( V. Vasentsov ) لوحة رائعة ( ١٨٨٠ ) عنوانها بمد  
 المعركة وهي المعركة التي دارت رحاها بين الجيش الروسي والمغبرين من رجال  
 القبائل ، فترى في هذا المشهد جثث القتلى مبعثرة فوق الأديم والقمر في كبد  
 السماء يضيء ساحة الوغى بنوره الباهت والنسور تتسابق على التهام أولئك الضحايا  
 وكأنها بتطاحنها فوقها في معركة تلتحم فيها الأجنحة بعضها في بعض مما يضفي  
 على اللوحة المذكورة التي طار صيت الرسام بسببها روحاً شاعرية سامية .  
 ولوحة الرسام نفسه المعروفة بالبواصل ( Warriors ) الثلاثة من اللوحات

التي استنسخت وتراها تزين الكثير من قاعات الاستقبال حتى ان شركة من شركات صنع اللوائف قد اتخذتها شارة لمصنوعاتها .  
وانتهى بنا الطواف في قاعات هذا المتحف الى زيارة قاعة أوكرانيا وفيها الصور الزيتية الرائعة وفي مقدمتها اللوحة الكبيرة التي تغطي أحد الجدران وفيها مشهد حفلة ذكري التحاق أوكرانيا بروسيا و مرور ٣٠٠ سنة عليه .

### جامعة موسكو :

وهي الجامعة الجديدة التي بنيت في مكان يعرف بهضبة لينين والتي هي أول ما يراها القادم من المطار في طريقه الى العاصمة ، ويمد مظهرها مع الكرملين أجمل طابع لعاصمة السوفيت . وتحمل الجامعة اسم العالم الروسي لومونوسوف ( Lomonosov ) الذي رأينا في لبتنفراد متحفاً خاصاً به يشتمل على ما يمثل تاريخ حياته نحتاً ورسمًا .

ويعود تأسيس هذه الجامعة الى سنة ١٧٥٥ ( وعلى ذلك فقد احتفل بمرور ٢٠٠ سنة على التأسيس في أيار سنة ١٩٥٥ ) ولقد كان مقرها في المبنى الذي يشغله معهد الآداب الأجنبية الآن والسكيات التابعة لها مبعثرة في أنحاء مختلفة من العاصمة . وبوشر في بناء هذا الصرح الضخم سنة ١٩٤٩ وانتهى البناء سنة ١٩٥٣ وقد قيل لنا ان تكاليف البناء المذكور قد بلغ مليارين من الروبلات والمساحة التي تشغلها الجامعة ٣١٧ ألف هكتار .

ويرى الداخل الى باحتها الفسيحة جداً مبنى مركزياً له جناحان ووراءه عدة مبان . فالجزء المركزي شاهق يشتمل على ٣٣ طبقة وارتفاعه ٧٨٢ قدماً ( وبعد لذلك أعلى من أي مبنى في الولايات المتحدة ما عدا المباني الستة في مانهاتان ( Manhattan ) أما جناحها المبنى المذكور فيشتمل كل منها على ١٧ طبقة ، وحول هذه الأجزاء الثلاثة عدة أبنية للسكيات والمختبرات ومرصد الجو .

ولا أدل على عظمة هذه الأبنية بمجموعها (وربما عدت أكبر جامعة في العالم) من أن ٥٠٠ مجموعة من الشركات قد اشتركت في إنجاز البناء وان فيها ١٠٠٠ قاعة للتدريس والاختبار وان مجموع سطح السقف فيها يبلغ ٤٢٦٥ هكتار وانه يقتضي لزيارة جميع الأمكنة فيها اجتياز مسافة ١٤٥ كيلومتراً ، وان مجموع طول الممرات التي فيها يبلغ ١١٠ كيلومترات .

ويزيد الدليل على ذلك ان ماتحويه من ١٢٠ ألف غرفة لو أتيح للوليد أن يبيت منذ ولادته ليلة واحدة في كل غرفة من الغرف في الجامعة لما انتهى قبل أن يبلغ الستين من العمر .

وللجامعة في الوقت الحاضر ١٢ كلية و ١٨٠ رئيساً للتدريس وعدة مراكز للبحوث العليا ، وتحتوي ٩ معاهد للبحوث بينها معهد سترنبرغ ( Sternbug ) الفلكي وحديقة النبات التي تعد أقدم حديقة من نوعها في البلاد .

وترتبط جامعة موسكو بوزارة التعليم العالي ولا ترتبط كلية الطب بها ، فيها زهاء ١٨٠٠٠ طالب<sup>(١)</sup> بدرسوا على أيدي ٢٠٠٠ أستاذ ومساعد منهم ٢٠ أعضاء في الجامعات العلمية .

ونعني الجامعة بمزج التعليم النظري بالتطبيق العملي ، ويستهدف البحث في المختبرات ومراكز الاختبار البحث بكل ما يتصل بالاقتصاد الوطني . وفي الطبقة العليا من البناء المركزي قاعات متحف علم طبقات الأرض مع ما يحويه من معروضات تمثل الثروة المعدنية في البلاد .

ومن السهل الارتقاء الى الطبقات العليا والوسطى من هذا البناء الضخم بالمصاعد الكثيرة التي تحترق أرجاءه وعددها ١١٤ منها ما يصعد به حتى الطبقة ٢١ ثم يرتقى بمصعد آخر حتى الطبقة العليا . وبعد انتهاء الزيارة هبطنا بمصعد واحد حتى الأرض وكانت السرعة زهاء ٣٦٥ متر في الثانية .

(١) وقد ذكر لي الزميل الدكتور جميل صليبا أن هذا الرقم قد أصبح ٢٣٠٠٠

في هذه السنة ( ١٩٥٧ ) .

وتبلغ مساحة حديقة النبات ٤٢ هكتاراً في منتصف باحتها الفسيحة بناءً  
ذو أربع طبقات لكلية الأحياء (Biology) وعلم الطفولة (Pedology)  
وتضم عدة مبانٍ أخرى للبحوث وإتماء النبات والاقليم الاصطناعي .  
وقاعة الاحتفالات على غاية من الترتيب والتنظيم تستوعب لـ ١٥٠٠ و ٦٠٠  
سقف الممرات في الطبقة الأولى بصور مشاهير العلماء في العالم لاحظنا بينهم صور  
لبعض العلماء العرب وطبيعي أن يكون معظم العلماء من ينتمون بصلة الى الاتحاد .  
وفي الجامعة ٤ مطاعم يستوعب كل واحد منها ١٠٠٠ و ٣٥ مقصفاً ( بوفيه )  
وذكر لنا أن ثمن الوجبة من الطعام يختلف بين ٢٥٠ روبل و ٥٠ روبلات .  
والكتب المدرسية تعطى الى الطلاب بالمجان .

وإن مما خصص للطلاب من مساعدات ١٠٠٠٠ روبل لكل طالب في كلية  
الآداب و ٢٠٠٠٠ روبل لكل طالب في كلية التاريخ الطبيعي . ولا يطلب  
من الطالب سوى دفع ٤٠٠ روبل سنوياً مع إعفاء أبناء مشوهي الحرب والمتقاعدين  
والفقراء من الدفع .

وإن من الطلاب من يتلقى عوناً مادياً يختلف بين ٢٥٠ و ٥٥٠ روبلاً في  
الشهر يرفع العون الى المتفوقين ٢٥ ٪ وعندما ينال أحدهم إحدى الدرجات يصبح  
العون المادي المذكور ٧٨٠ - ٩٠٠ روبل وإن في مكتبة الجامعة ٥ ملايين  
مجلدة وتعد في المرتبة الثالثة من دور الكتب للاتحاد السوفيتي ، فضلاً عن  
المكتبات الخاصة لكل كلية أو مؤسسة . وقد قيل لنا ان الطلاب الذين بدرسون  
في الجامعة ينتمون الى ٥٩ قومية (١) . والانتساب الى الجامعة تابع الى مسابقة  
تعد فيها علامة النجاح ٣ من خمس علامات ، في جانب اختبار الطالب نفسياً واجتماعياً .

### ( للبحث صلة ) الدكتور حسني صبح

(١) إن ما هو متبع في بلاد الاتحاد السوفيتي ان التعليم الابتدائي اللغة فيه هي اللغة  
المحلية لكثرة سكان تلك الجمهورية ، وفي المرحلة الثانوية يصبح التعليم بالروسية  
إلزامياً وكذلك في الجامعة . ومع ان لغة التعليم الابتدائي باللغة المحلية فان  
كتابة كل اللغات إنما يكون بالأحرف الروسية وحدها .